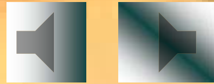
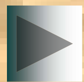


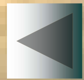
الصوم الكبير







الصفحة لتالية



الصفحة السابقة

Exit

سلسلة مقالات الأنبا ساويرس
البطريرك الأنطاكى

٢٥

مقال القديس الأنبا ساويرس البطريرك الأنطاكى

عن

الصوم الكبير

مترجم عن الفرنسية من الجزء الثالث والعشرين من مجموعة :

« Patrologia Orientales »

R. Graffin — F. Nau

Les Homélies Cathédrales de Sévère d'Antioche

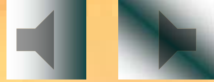
Homélie CV

Publiée et traduite par Maurice Brière

Paris

يوسف حبيب   عليكه حبيب يوسف

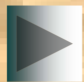


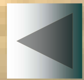


فهرس كتب أقول الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات


الصفحة لتالية


الصفحة السابقة

Exit

مقـدمة

الصوم هو الذى يحد من اضطرام شهوات الجسد ويخمدها ويغسل الانسان الداخلى من كل دنس . فيستنير العقل وتسمو النفس فوق المادة ويستعد الانسان لتفهم الأمور السماوية .

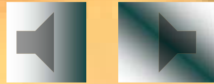
الصوم الطاهر المقدس لا يتفق مع الامتزاج بالشر . فلنهرب من الزنا ، ولنبتعد عن المحادثات الشريرة والاغتياب ، ولنمتنع عن التدخل فيما لا يعنينا من أمور الغير . لأن الاغتياب يغلق أمامنا ملكوت السموات مثل الزنا والخطايا الجسيمة الأخرى .

والمحبة هى تاج الصوم ، فبدونها يبدو الصوم فارغاً باطلا . فيلزم أن نجتهد فى التواضع والوداعة نحو الجميع . لا تغفل الرحمة نحو الفقراء ، ولا تقسو فى مطالبة الذين عليهم دين

وحتى لا تسقط فى الملل أثناء الصوم اتهرع إلى الكنيسة ؛ تحضر القداسات وتصلى مع المصلين وترتل مع المرتلين ، وسوف ترى كيف أن الوقت الذى تكرسه للرب يمر بسرعة .

✝ ✝ ✝

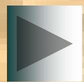


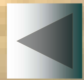


فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات


الصفحة لتالية


الصفحة السابقة

Exit

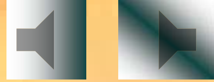
الفرحة بعودة صوم الأربعين المقدس

كان بداخل تابوت العهد المقدس لوحا الناموس والوصايا المكتوبة بأصبع الله ، وعصا هرون العجيبة التى أفرخت أوراقاً وثماراً فى ليلة واحدة بعد أن كانت قد قطعت ، والوعاء الذهبى الذى كان يحتوى على المن النازل من السماء . وقد استولى الفلسطينيون على التابوت بعد أن هزموا الاسرائيليين فى معركة قد خططوا لها . وإذ أغضب الاسرائيليون الله عاقبهم وضربهم بالقروح التى يستعصى شفاؤها ، فوضعوا التابوت على عربة وأعادوه بكل احترام مع ذبائح كثيرة معترفين بخطاياهم .

يبدو أنه مع عودة التابوت من عند الأعداء بهذه الطريقة العجيبة الإلهية ، دون أن يجهد ذلك أحد من الاسرائيليين ودون معركة ، كانت أذهانهم بعيدة عن ذكر الله لدرجة أن العجائب العظيمة التى رأوها لم توقظ ضمائرهم [النعسة ، فلم يحمدوا الرب صانع هذه العجائب ، فى حين أنه كان ينبغى أن يتهللوا ويفرحوا فرحاً روحياً مثلما فعل داود النبي فقد تهلل ورقص أمام تابوت العهد عندما أتوا به إلى الهيكل فى ظروف مماثلة .

فماذا يقول الكتاب المقدس عن أولئك الذين رأوا التابوت فى الظروف الأولى ؟ « وضرب أهل بيتشمس لأنهم نظروا

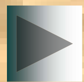


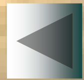


فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

 الصفحة لتالية

 الصفحة السابقة

Exit

إلى تابوت الرب . وضــــرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلا ، ١ صم ٦ : ١٩ .

عندما أسمع ذلك فإني أرتعب وأرتجف لأن دورة هذه الأربعين المقدسة لم ترجع إلينا من عند الفلسطينيين ، بل من السموات عينهـــا ، إذ أن الأمر بالصوم صــــدر إلينا من هناك . إني أنحني أمامه بالتحية : وليس ذلك فقط ، بل أستقبله بسرور وأتهلل وأفرح ؛ وأدعوكم أيضاً أن تحذوا حذوي لأنه يلزم أن يكون الفكر سليماً حتى يصير العمل سليماً ، فالفكر مصدر العمل .

+ + +

لماذا صام المسيح ؟

ان الصوم لا يجلب ألواحاً حجرية ، بل ينقلنا إلى محبة المسيح ذاته ، الله ، المشرع والملك ، الذي صام هذا الصوم من أجلنا .

متى كان الطبيب المداوي محتاجاً إلى الأدوية ؟ ان الأدوية لا تنفع حقاً إلا للمرضى . فكيف يكون ذلك الذي لم يعرف خطية معدوداً ضمن المرضى ؟ لكنه لأجلنا ولأجل خلاصنا تجسد وتأنس ، ولأجلنا صام ، وليس عن ضرورة . ويشهد بذلك بولس الرسول إذ يقول : « فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع

المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غنى لكي تستغنوا أنتم بفقره ».
٢ كو ٨ : ٩ .

ان الله ليس محتاجاً إلى شيء إطلاقاً . وبنعمته لنا قبل أن يصير فقيراً من أجلنا وهو الغنى .

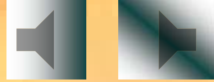
قال بولس الرسول هذه الكلمة العظيمة لكي يبين أموراً كثيرة . يقول : « إنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح » : أننا في حاجة إلى أبصار روحية حادة لكي نفهم ذلك . فإن الغنى بطبعه قد جعل نفسه فقيراً لأجلنا ، إذ أخضع ذاته فصار انساناً فقيراً مع أنه الله في نفس الوقت .

كيف يستطيع من لا يكون غنياً بطبعه أن يجعل نفسه فقيراً؟ وما هو الغنى الذى عسى أن يعطيه لنا من هو ليس سيداً لكل الأشياء بجوهره ؟

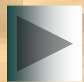
ان كل من يقول ان المسيح ذو طبيعتين بعد الاتحاد غير المنطوق به يعزو صوم المسيح إلى الطبيعة البشرية ، وكذلك كل أعمال التدبير الإلهى المتواضعة ، ويقسم المسيح، ويجرد الرب الغنى من افتقاره الاختيارى . فيهدم سر التقوى العظيم .

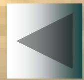
لأن الله المتأنس لم يصم عن ضرورة ، ولكنه صام لأجل تعليمنا . وعندما جاع بالحقيقة كان ذلك بإرادته وهو المسير القوانين الطبيعة .



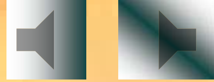


فهرس كتب أقوال الآباء
فهرس الكتب
فهرس الموضوعات


الصفحة التالية


الصفحة السابقة
Exit

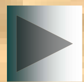


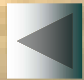


فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات


الصفحة لتالية


الصفحة السابقة

Exit

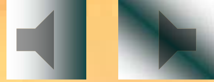
تجربة المسيح

كذلك أيضاً عندما جاء ليربط القوى بعظمة قدرته الإلهية وياخذ أسلحته ، « ولكن متى جاء من هو أقوى منه فإنه يغلبه وينزع سلاحه الكامل الذي اتكل عليه ويوزع غنائمه » لو ١١ : ٢٢ . فإن ذلك بالتأكيد كان من أجلنا نحن الذين كنا تحت سيطرة الشيطان ، فقد أخذ المسيح التجربة على عاتقه وصد هجمات العدو وكان يرد بطريقة متواضعة بشرية على كلماته الماكرة . وبذلك أعطانا التعاليم التي يلزمنا السلوك بمقتضاها أثناء معاركنا ، كما أعطانا التدريبات التي تسمو بنا نحو الكمال ، وكذلك كسر العدو وشل قوته . ويقول بولس الرسول . « لانه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المجربين » عب ٢ : ١٨ .

ان ربنا يسوع المسيح برحمة لنا طريقة مواجهة التجربة يعطينا معونة قوية تكفي لصد المجرب . فتجربة المسيح لم تكن إذن عن ضعف . وكيف تكون عن ضعف تلك التجربة التي أعطت المجربين المعونة ؟

لذلك أيضاً فإن الملائكة قد تقدموا وكانوا يخدمونه ، مع أن ملاكاً واحداً يستطيع بأمر الله أن يقهر الشيطان . يقول :





«ثم تركه إبليس وإذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه» مت ٤ : ١١ .

وهكذا يتبين لنا أمران إلهيان . أولهما وجهة نظر التعليم ، وثانيهما وجهة نظر الإرادة الحرة إذ إفتقر لأجل خلاصنا وصام عنا .

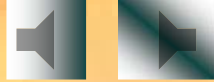
+ + +

ضرورة صيامنا من أجل المسيح

فمن ذا الذى يحتقر الصوم كأنه أمر لا لزوم له بينما أظهر الله عظمة ضرورة الصوم لنا ؟ ثم إذا كنا ملزمين بتنفيذ أوامر الملوك بمجرد اعلانها بواسطة أعوانهم، فعندما يصوم الله الكلمة المتجسد من أجلنا ويأمرنا أن نصوم مثله ، أفلا يكون كل من لا يطيع فوراً متطاولاً مهيناً ؟

وكما سمعنا المسيح يقول فى الأناجيل : « من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حيوة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » . . . : «من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا فيه» يو ٦ : ٥٤ ، ٥٦ . كذلك بما فعله من أجلنا تصوره بوضوح كأنه يقول لنا : « من يصم صومى ينل الحياة الأبدية، ويثبت فىّ وأنا فيه . وأيضاً بنفس الطريقة من يحمل صليبى ومن يفتقر بفقرى ، ومن يشترك

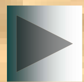


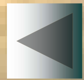


فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات


الصفحة لتالية


الصفحة السابقة

Exit

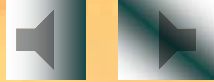
بكلمتى ، ومن يرتبط حقاً بما هو لى ، لأنه إنما علم لكى نعمل، وليس لنتمدى وصاياه بتوانينا عن العمل .

ومع كل ،لو افترضنا أن الصوم ليس ضروريا ولا يطهر النفس ، فهل هذا شرف قليل أن نصوم مع المسيح ؟ من يشترك مع الملك فى أعماله ينل شرفا . فهلا يكون للاقتداء بالمسيح إلهنا مكافأة إلهية ؟ ألا يجب علينا أن نرغب فى تلك الامتيازات الإلهية أكثر من الاشياء الزائلة؟

فبما أن الصوم أمر عظيم ضرورى يقودنا إلى الله ويرفعنا إلى درجة الاقتداء به تعالى ، فلنصم من أجل ربنا يسوع المسيح . إذ أننا نستطيع الصوم صوما خاصا وليس من أجل المسيح ؛ مثل العشر عذارى اللواتى بعد أن أشعلن مصابيح البتولية وزينها بعناية ، وبعد أن ذهبن للقاء العريس ، لم يفزن كلهن بالدخول إلى العرس ، فقد كان بينهن من أشعلن مصابيحهن من أجل أنفسهن وليس من أجل المسيح ، لانهن تحولن عن الشفقة على المحتاجين. هكذا فإننا نستطيع الصوم ولكن صومنا لا يكون من أجل المسيح .

ولو أعلن أحد الملوك فى إحدى مدن مملكته انه يريد أن يتزوج بإحدى فتيات المدينة التى يجدها فى يوم معين أجمل من

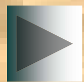


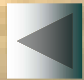


فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات


الصفحة لتالية


الصفحة السابقة

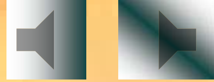
Exit

الأخريات زينة طاهرة بهية . أفلا يجتهد حقاً كل من لديه فتاة فى أن يجمع فيها كل زينة الروح والجسد حتى تصير أجمل فتاة ، إبتغاء شرف مصاهرة الملك ؟

فلنزين كل صائم صومه بكل زينة كأنه ابنه ، خوفاً من أن يحسب الملك المسيح صومه غير مقبول .

✝ ✝ ✝

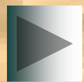




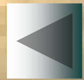
فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات



الصفحة لتالية



الصفحة السابقة

Exit

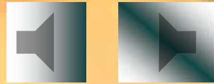
الصوم المقبول

فإذا امتنعت عن الأكل ثم اقترب منك أحد هؤلاء الجالسين في الساحة يطلب منك صدقة أو أي شيء آخر مما هو عندك بوفرة ويسهل عليك جداً أن تعطيه إياه ، فطردته بعيداً بدون شفقة ولم تفعل شيئاً من أجله ، بل أكثر من ذلك ، كما يحدث كثيراً ، ربما شتمته أيضاً ، في هذه الحالة تكون صائماً من أجل نفسك وليس من أجل المسيح .

وانك لتأتي عملا مماثلا لو حاسبت المدينين لك بالفضة أو الذهب أو الفوائد المركبة حساباً عسيراً . ولكن إن كنت على النقيض من ذلك عادلا بشوشاً وعطياً . تترك جزءاً مما لك عند الناس ، خفية وفقاً للإنجيل ، ولا تهتم بهذا الجزء وتتناساه حتى لا تظهر عملك فلا يعرف شمالك ما يصنع يمينك ، وتصنع رحمة لا يعلم بها إلا الله من أجل زوجة وأبناء ذلك الانسان الذين يعولهم بعمله ، فحينئذ تكون قد زينت صومك بزينة ملكية .

وإذا كنت تصوم وتنشغل في نفس الوقت بالقضايا ، فتقدم هذا للمحاكمة وتحبس ذاك في السجن ، وتترك آخر يتمزق

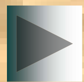


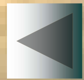


فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

 الصفحة لتالية

 الصفحة السابقة

Exit

بالضربات ، فحينئذ يكون صومك شرير آمر فوضاً ، ويحول الملك وجهه عنك .

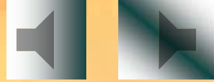
وإذا كنت تطيل الصوم فى حرمان شـــديد من الأطعمة وتتعدى الوقت المناسب ، فتبتعد عن الطعام ولـكنك تصير حزيناً عابسـاً ، تغضب بمرارة نفس ، وتهين وتشتم وتجرح ، ترعى الغضب فى روحك ، وإذا نطقت بكلمات الاستهزاء غير الشريفة ومتعت نظرك برؤية النساء والمسرحيات المبتذلة ، ومتعت سمعك بالأغانى المائعة ، فحينئذ تـكون قد نسيت أن الوحل يملأ صومك .

أيها الانسان : ان لسـانك قد يبس من العطش والحرمان من الأطعمـة وليس به رطوبة ، ذلك حتى يصير غير مخصب إزاء الإهانة والمشاجرة ، فلا تجد الوسيلة التى تخدم بها تلك الأعمـال جاهزة فوراً ، فلا يحمو غضبك بسبب الصوم .

ان الصوم يعلم الحزن ، ويدعو إلى التواضع ، ويطهر العين ، فيضبط الانسـان نظراته غير المرتبة حتى لا يدخل الاضطراب إلى الروح ويقتشر بسهولة فى كل أمور الانســان ، فيؤخذ المرء فى شباك الشهوة .

فإذا كنت تصوم وتذهب بإرادتك إلى المراقص والملاعب

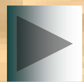


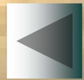


فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات

 الصفحة لتالية

 الصفحة السابقة

Exit

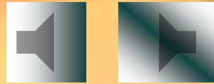
المليئة بكل الترف وتستمع إلى الأغاني الماجنة ، فإنك بذلك تعطي فرصة الذين لا يصومون أن يقولوا : « ماذا فضل الصائم أكثر منا ؟ وفيم يكون أطهر منا ؟ فيم هو أكثر محبة ، أو أكثر وداعة ؟ ألم يبدو أكثر قساوة ؟ رؤيته مكروهة ومقابلته صعبة ، وهو لا يحتمل حتى ليتحاشى الناس تحيته ، وأكاد أرتعب خوفاً وأنا أتمثله يكاد يعض من يقترب منه . الأفضل للإنسان أن يأكل لحماً ويشرب خمراً من أن يكون في سلوكه متفرأ بهذه الكيفية كالحيوانات المفترسة . وآخر يصوم وتجده جالساً مع المهرجين الذين يروون النكات في صالات الرقص ، يستبيح لنفسه أن يكون جاحظ العينين في كل الأمور الفاضحة » .

ويتساءل البعض الآخر من الذين لا يصومون ولكنهم لا يتدخلون عبثاً فيما لا يعنيهم : « هل أنا أقل شأناً من الصائم ؟ في رأيي أن فطري خير من الصوم المقترن بالأعمال السيئة » .

ويقول ذلك وهو يعتقد أنه بار ، وربما يكون مريضاً بالبخل أصل كل الشرور وجذرها المر . ويتبين لنا خلال هذا القول أن الذين يصومون وفي نفس الوقت يفعلون ما لا يتفق والصوم سوف يحاسبون أيضاً على التجديف الذي يصيب بسببهم .

✝ ✝ ✝

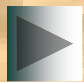


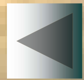


فهرس كتب أقوال الآباء

فهرس الكتب

فهرس الموضوعات


الصفحة لتالية


الصفحة السابقة

Exit

ثمار الصوم

فبما أن الصوم أمر صالح وهو وصية الروح القدس ، فثماره أيضاً صالحة ويتمجد الله بها .

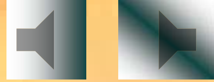
ما هي ثماره ؟

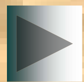
ان بولس الرسول يعددها فى رسالته إلى أهل غلاطية : « وأما ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ، صلاح ، إيمان ، وداعة ، تعفف » . غل ٥ : ٢٢ - ٢٣ :

إن لم يعطِ صومنا هذه الثمار غير المتفقة مع نوعية الصوم المقبول ، بالرغم من مدحنا لفضيلة الصوم ، فإن الرب مخلصنا سوف يقول لنا : «اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها ردياً . لأن من الثمر تعرف الشجرة » مت ١٢ : ٣٣ .

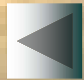
يلزمنا أن نعلم يقيناً أن زيادة الاهتمام بالمظاهر هو رياء قد أمسى عن ثمار الصوم غريباً . فالصوم من أجل الافتخار والمجد الباطل يعد نكبة ولا فائدة منه ، لأنه مخالف لوصية ربنا له المجد بإخفاء الصوم الحقيق إذ يقول :







الصفحة لتالية



الصفحة السابقة

Exit

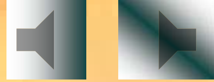
« ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين ، فإنهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين . الحق أقول لكم أنهم قد استوفوا أجرهم . وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك . لكى لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذى يرى فى الخفاء . فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » مت ٦ : ١٦ - ١٨ .

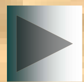
ان المرائين لا يصومون ، إنما يريدون أن يظهروا كأنهم نساك أطهار وهم يتمرغون فى شهوات مخزية جداً . ان حالهم يدعو إلى الرثاء بسبب العذاب الذى ينتظرهم .

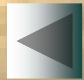
أما نحن الضعفاء الخطاة ، فلينجنا ربنا من قساوة الفريسيين وتشددهم المكروه الذى يقول عنه الرب لرسله فى الانجيل « أولا تحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذى هو الرياء » لو ١٢ : ١ .

وأنت أيضاً أيتها المرأة ، عندما تصومين ، أقولها لك كلمة خاصة بالإضافة إلى الوصايا العامة ، أحذرى الغضب لأنه يستهوى النساء بسهولة ، ولا تكونى شديدة نحو خدمك ، ولا تطيل الخدمة ولا تضيق إليها شيئاً جديداً ، واطلبي المعتاد فقط خوفاً من أن يهان الصوم بسببك . كونى محسنة لطيفة متواضعة مسالمة قانعة حليمة . وإذا حدثتك نفسك برفع يدك للضرب ، فتصورى






الصفحة لتالية


الصفحة السابقة

Exit

الصوم كأنه ملكة مهابة تمسك بك وتمنعك من أن تغرقي .

وعندما يتملكك هذا الشعور ، حينئذ تسيطرين على قوة الغضب ، وتتوجك الملكة ، ولا تحتاجين إلى شيء ، وتسيرين كل حياتك في هدوء وسكينة .

فلنزين صومنا بالأعمال الصالحة لنجعل منه صوماً من أجل المسيح إلهنا حتى نحتفل بعيد القيامة ليس بخمير الخطايا العتيق بل بفطير الطهارة والحق والتجديد الكامل الإلهي : إذاً لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الاخلاص بالنعمة والرأفة ومحبة البشر اللواتي لذاك الذي دعانا

له المجد إلى أبد الآبد آمين ؟

† † †